المحاضرة الثانية

كلية العلوم الإسلامية – قسم الحديث وعلومه

اسم المحاضر : أ.د.أحمد قاسم عبد الرحمن

المرحلة : الثانية

اسم المادة انكليزي : Isoll Tafser

اسم المادة عربي : أصول تفسير

اسم المحاضرة انكليزي :

اسم المحاضرة بالعربي : تعريف التأويل لغة واصطلاحاً ، الفرق بين التفسير والتأويل . ، مكانة علم التفسير والفائدة من دراسته ، الغرض من تعلم التفسير .

مصدر أو مصادر المحاضرة : أصول التفسير د.خليل رجب حمدان – أصول التفسير وقواعده – خالد العك

<u>المحاضرة الثانية</u>

ثانياً: تعريف التأويل:

أ) التأويل لغةً : مصدر أوَّل يُؤَوِّل تأويلا، وثلاثيه آل يؤول.

<u>وفي اشتقاقه قولان :</u>

١-**إنه مشتق من آل الأمر إلى كذا يؤول أوْلا ومآلا**، إذا رجع وعاد إلى الأصل، ويرد بمعنى التفسير والتقدير والتدبير، يقال: أول الكلام وتأوله، أي: فسّره وقدّره ودبّره.

والتأويل على هذا، مأخوذ من الأَوْل، وهو الرجوع إلى الأصل وعاقبة الأمر، لا من المآل، يقال: آل الأمر إلى كذا أي صار ورجع إليه، ومنه قوله تعالى: ﴿**هَلْ يَنْظُرُونَ إِلاّ تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ**﴾ الأعراف:٥٣، أي: يوم تكشف عاقبته. يقول الطبري: «هل ينتظر هؤلاء المشركون الذين يكذبون بآيات الله ويجحدون لقاءه إلا تأويله، يقول: إلا ما يؤول إليه أمرهم من ورودهم على العذاب ». ومنه أيضا قوله: ﴿**وكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ**﴾ يوسف: ٦، يقول الطبري: «ويعلمك ربك من علم ما يؤول إليه أحاديث الناس عما يرونه في منامهم ».

وقيل: إنه مأخوذ من المآل وهو نفس المرجع والعاقبة والمصير وآخر الأمر، يقال: إلى أي شئ مآل هذا الأمر، أي: مصيره وعاقبته. وقد أولته فآل، أي صرفته فانصرف، فكأن التأويل صرف الآية إلى ما تحتمله من المعاني.

ومنه: ﴿**وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّداً وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّاً**﴾ يوسف:١٠٠، يقول الطبري: « هذا السجود الذي سجدت أنت واخوتي تأويل رؤياي من قبل، يعني: ما آلت إليه رؤياي التي كنت رأيتها». ومنه أيضاً: ﴿**ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْراً** ﴾ الكهف: ٨٢.

٢-**إنه مشتق من الإيالة**، وهي السياسة، يقال آل الرعية يؤولها إيالة حسنة، أي ساسها، وهو مؤتال لقومه، أي: سائس محتكم. وعلى هذا الاشتقاق هو أيضا يكون بمعنى الرجوع إلى الأصل، وبمعنى المرجع؛ لأن مرجع الرعية إلى راعيها، أي: سائسها.

ب) التأويل اصطلاحاً:

١-للتأويل في اصطلاح السلف والمتقدمين معنيان :

أولهما: مرادف للتفسير سواء وافق الظاهر أم خالفه وهذا ما يشير إليه الطبري في تفسيره فيقول: القول في تأويل الآية كذا وكذا، وقال أهل التأويل، واختلف في تأويل هذه الآية ونحو ذلك، ومراده من ذلك التفسير. وفسروا على هذا قوله تعالى: ﴿**نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ**﴾ يوسف:٣٦، أي: بتفسيره.

ثانيهما: هو نفس المراد للكلام، فإذا كان الكلام إنشاء، فتأويله نفس الفعل المطلوب، من فعل المأمور به وترك المحظور. ومنه ما جاء عن أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها حينما قالت: كان رسول الله ﷺ يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده: «**سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم أغفر لنا** »، يتأول القرآن. يعني يتأول قوله تعالى: ﴿**فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ** ﴾ النصر:٣.

وإذا كان الكلام خبرا فتأويله نفس الشيء المخبر به إذا وقع، فتأويل الإخبار عن الساعة ووقتها هو وقت وقوعها فعلا، وهو عين الأمور الموجودة في الخارج سواء كانت ماضية أم مستقبلية. ومنه قوله تعالى: ﴿**هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيايَ مِنْ قَبْلُ**﴾ يوسف: ١٠٠، يقول مجاهد: «تأويل الشيء هو الشيء، قال: ومنه تأويل الرؤيا، إنما هو الشيء الذي تؤول إليه».وبهذا يختلف عن التعريف الأول المرادف للتفسير، لأنه بالمعنى الأول يعنى الكشف عن المعنى وبيانه وشرحه، فهو موجود

في اللفظ والذهن والرسم، يفسر الكلام بكلام شارح له، بينما التأويل بالتعريف الثاني هو عين الحقائق الخارجية.

٢ــ اصطلح المتأخرون من الفقهاء والمتكلمين والمحدثين والمتصوفة والمفسرين للتأويل تعريفا يختلف عن الاصطلاح السابق:

فقد عرفه ابن جزي بقوله: « هو حمل الكلام على معنى غير المعنى الذي يقتضيه الظاهر بموجب اقتضى أن يحمل على ذلك ويخرج على ظاهره ». وبمثل هذا التعريف عرفه الآمدي فقال هو: «حمل اللفظ على غير مدلوله الظاهر مع احتماله له بدليل يعضده ».

وبهذا المعنى جاء تعريفه لدى العلماء، ولا يكاد يخرج عن مدلوله هذا مهما اختلفت العبارات، وهذا التعريف يقتضي أن تتوفر جملة شروط في التأويل كي يكون تأويلا صحيحا، منها: أن يحتمل اللفظ المعنى المحمول عليه، وأن يقوم دليل راجح يدل على أن المراد من اللفظ هو المعنى الخفي وليس الظاهر.

ثالثا: الفرق بين التفسير والتأويل:

للعلماء فيما يحمله هذان المصطلحان مذهبان:

الأول: يرى أنهما بمعنى واحد، وهو الذي قدمناه عن كثير من قدماء المفسرين، وبه قال عدد من اللغويين كأبي عبيدة وابن فارس وآخرين.

الثاني: التفريق بينهما، واختلفوا في تحديد الوجه الفارق باعتبارات مختلفة، منها:

١ــ التفريق بينهما من حيث العموم والخصوص: فالتفسير أعم من التأويل، فكل تأويل تفسير ولا عكس، وبه قال الراغب الأصبهاني، يقول في المفردات: «التفسير أعم من التأويل لأن أكثر استعمال التفسير في الألفاظ ومعاني مفرداتها وغريبها، بينما أكثر استعمال التأويل في الجمل والمعاني، وأن التفسير يستعمل في الكتب الإلهية وفي غيرها، بينما التأويل أكثر استعماله في الكتب الإلهية ».

فالتفسير إما أن يستعمل في غريب الألفاظ كالبحيرة والسائبة والوصيلة، أو في وجيز مبين بشرح كقوله تعالى: ﴿**وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ** ﴾ البقرة:٤٣، وإما في كلام مضمن لقصة لا يمكن تصور معناه إلا بمعرفتها، كقوله: ﴿**وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا**﴾ البقرة:١٨٩. وأما التأويل فانه يستعمل مرة عاما ومرة خاصا، نحو لفظ (**الكفر**) يستعمل تارة في الجحود المطلق، وتارة في جحود الباري خاصة، و(**الإيمان**) المستعمل في التصديق المطلق تارة، وفي تصديق الحق تارة، وإما في لفظ مشترك بين معان مختلفة.

٢ــ التفريق بينهما بحسب الرواية والدراية فإذا كان بيان المعنى مستنداً إلى النقل والسماع فهو التفسير، وإذا كان مستندا إلى الرأي والاجتهاد فهو التأويل؛ فالمفسر راو، والمؤول مستنبط ومجتهد، وإليه يذهب البغوي.

٣ــ التفريق بينهما على أساس مرتبة الدلالة من حيث القطع والظن، فإذا كانت دلالة اللفظ على المعنى المراد قطعية لا تحتمل إلا وجها واحدا؛ فهو التفسير سواء كان نقلياً أو رأياً، وإن كانت دلالته ظنية ؛ فهو التأويل سواء تحصل بيانه بالدليل النقلي أو بالاجتهاد. فالتفسير ذو وجه واحد، والتأويل ذو وجوه، لذلك لا يقع التشديد في التأويل، لأنه لا يخبر عن المراد قطعا، فلا ينبغي للمؤول أن يقول: عنى كذا، أو أراد كذا، ولكن يقول: يتوجه إلى كذا من الوجوه. والمفسر يقول: عنى كذا، فيقع فيه التشديد. وبهذا قال الماتريدي.

وهذا هو المراد من قول بعضهم بأن التفسير بيان لفظ لا يحتمل إلا وجها واحدا، والتأويل هو توجيه لفظ متوجه إلى معان مختلفة إلى واحد منها، بما ظهر من الأدلة.

٤ــ التفريق بينهما بحسب اختلاف متعلقهما: واختلفوا في ذلك؛ فقال بعضهم: إن التفسير هو التفسير بالظاهر، فهو كشف معاني القرآن الظاهرة من اللفظ وكشف المغلق من اللفظ. أما التأويل: فهو صرف الآية إلى معنى غير المعنى الذي يقتضيه الظاهر بدليل اقتضى هذا الصرف، وهذا ما صار إليه عرف جمهور المتأخرين من المفسرين والأصوليين والفقهاء والمحدثين والمتصوفة.

مكانة علم التفسير والفائدة من دراسته

لقد خاطب الله تعالى خلقه بما يفهمونه، فأرسل كل رسول بلسان قومه، وأنزل كتبه على لغاتهم: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلاّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ** ﴾ إبراهيم: ٤، وأنزل القرآن بلسان عربي مبين في زمن أفصح العرب، فكانوا يعلمون ظواهره وأحكامه، ولم يحتاجوا إلى أن يسألوا عنها رسول الله ﷺ، أما دقائق باطنه فإنما كانت تظهر لهم بعد البحث والنظر، مع سؤالهم النبي ﷺ عن الكثير منها، كسؤالهم لما نزل قوله: ﴿**الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ** ﴾ الأنعام:٨٢، فقالوا: وأينا لم يظلم نفسه؟، ففسره النبي ﷺ الظلم بالشرك، وتلا قوله تعالى: ﴿**إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ**﴾ لقمان:١٣. وكسؤال عائشة رضي الله عنها عن الحساب اليسير فقال: « ذلك العرض، ومن نوقش الحساب عذب». وكقصة عدي بن حاتم في الخيط الأبيض والخيط الأسود، وغير ذلك مما سألوا عنه.

ونحن محتاجون إلى ما كانوا يحتاجون إليه وزيادة على ذلك مما لم يحتاجوا إليه من أحكام الظاهر، لقصورنا عن مدارك أحكام اللغة بغير تعلم، فنحن أشد احتياجا إلى التفسير. وقد أمرنا سبحانه بتدبر كتابه، وتبيين معانيه، وفهم مراداته فيه، فقال تعالى: ﴿**كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الأَلْبَابِ**﴾ صٓ:٢٩، وجه الدلالة: أن الله تعالى بين أن الحكمة من إنزال هذا القرآن المبارك أن يتدبر الناس آياته، ويتعظوا بها، والتدبر: التأمل في الألفاظ للوصول إلى معانيها، فإذا لم يكن كذلك فاتت الحكمة من إنزال القرآن، وصار مجرد ألفاظ لا فائدة منها، ولا تأثير لها. وقال تعالى: ﴿**أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا**﴾ محمد:٢٤، وجه الدلالة: أن الله تعالى وبخ أولئك الذين لا يتدبرون القرآن، ووصف ذلك بأنه من الإقفال على القلوب، وعدم وصول الخير إليها.

والعادة تمنع أن يقرأ قوم كتابا في فن من العلم كالطب والحساب ولا يستشرحوه، فكيف بكلام الله تعالى الذي هو عصمتهم، وبه نجاتهم وسعادتهم، وقيام دينهم ودنياهم، فيجب على أهل العلم أن يبينوه للناس بكل طريق يستطيعونه، لقوله

تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلا تَكْتُمُونَهُ﴾ آل عمران:١٨٧، وتبيين الكتاب للناس شامل لتبيين ألفاظه ومعانيه، فيكون تبيين القرآن مما أخذ الله العهد على أهل العلم ببيانه.

ومعلوم أن تفسيره يكون بعضه من قبيل بسط الألفاظ الوجيزة وكشف معانيها، وبعضه من قبيل ترجيح بعض الاحتمالات على بعض لبلاغته ولطف معانيه، ولهذا لا يستغنى عن قانون عام يعول في تفسيره عليه، ويرجع في تفسيره إليه، من معرفة مفردات ألفاظه ومركباتها، وسياقه، وظاهره وباطنه، وغير ذلك مما لا يدخل تحت الوهم، ويدق على الفهم، وفي هذا تتفاوت الأذهان، وتتعدد الأفهام.

ثم إن الرسول ﷺ لم يفسر القرآن كله لغةً وأحكاماً، وإن كان فلم ينقل إلينا مثل ذلك، ولم ينقل إلينا عن أصحابه تفسير القرآن كله، وقد ضعفت الملكة اللغوية عند الناس، واستجدت الحاجات أوسع مما كانت عليه، ومقتضيات العصور وأحوالها مختلفة، مما يزيد حاجتنا إلى التفسير، ويظهر أهميته في متابعة التطور والرقي الفكري والاجتماعي، واستبيان وجوه هدايته، وتحقيق مقاصده في النفس والمجتمع، تلبية لحاجة الأمة، وربط حركة تطورها بقانون القرآن.

يقول القاضي شمس الدين الخُوَيِّيِّ: «علم التفسير عسير يسير، أما عسره فظاهر من وجوه، أظهرها: أنه كلام متكلم لم يصل الناس إلى مراده بالسماع منه، ولا إمكان للوصول إليه، بخلاف الأمثال والأشعار ونحوها، فإن الإنسان يمكن علمه منه إذا تكلم، بأن يسمع منه أو ممن سمع منه، وأما القرآن فتفسيره على وجه القطع لا يعلم إلا بأن يسمع من الرسول ﷺ، وذلك متعذر إلا في آيات قلائل، فالعلم بالمراد يستنبط بأمارات ودلائل، والحكمة فيه أن الله تعالى أراد أن يتفكر عباده في كتابه، فلم يأمر نبيه بالتنصيص على المراد في جمع آياته».

فكتاب الله تعالى لانهاية لمعانيه، ولا حد لأسراره، ومن هنا جاء قول ابن مسعود رضي الله عنه: «من أراد العلم فليثور القرآن فإن فيه علم الأولين والآخرين» قال البيهقي في المدخل: أراد به أصول العلم. وإنما يفهم منه كلٌ بمقدار ما يفتح الله عليه، وبحسب استعداده للفهم، وموقعه من العلم، وقد أصاب من قال في حق علم التفسير: «

العلوم ثلاثة: علم نضج وما احترق؛ وهو علم الأصول والنحو، وعلم لا نضج ولا احترق؛ وهو علم البيان والتفسير، وعلم نضج واحترق؛ وهو علم الفقه والحديث» لكن الحكم الأخير فيه نظر.

والغرض من تعلم التفسير

هو الوصول إلى الغايات الحميدة، والثمرات الجليلة، وهي التصديق بأخباره، والانتفاع بها، وتطبيق أحكامه على الوجه الذي أراده الله تعالى، ليعبد على بصيرة. وإنما احتيج إلى التفسير والشروح للكتب لأمور ثلاثة:

الأول: كمال فضيلة المصنف، فانه لقوته العلمية يجمع المعاني الدقيقة في اللفظ الوجيز، فربما عسر فهم مراده، فقصد بالشرح لإظهار تلك المعاني الخفية، ومن هنا كان شرح بعض الأئمة تصنيفه أدل على المراد من شرح غيره له.

الثاني: إغفال بعض تتمات المسألة، أو شروط لها، اعتماداً على وضوحها، أو لأنها من علم آخر فيحتاج الشارح لبيان المحذوف ومراتبه .

الثالث: احتمال اللفظ لمعان، كما في المجاز والمشترك، ودلالة الالتزام، فيحتاج الشارح إلى بيان غرض المصنف وترجيحه، وقد يقع في التصانيف البشرية ما لا يخلو منه بشر من السهو والغلط أو تكرار أو حذف وغير ذلك، فيحتاج الشارح للتنبيه على ذلك، وهذا السهو والغلط لا يدخل فيما يتعلق بالقرآن الكريم.

إذا عرف هذا فان أشرف صناعة يتعاطاها الإنسان هي تفسير القرآن ، وقد أجمع العلماء أن التفسير من فروض الكفايات وأجل العلوم الشرعية الثلاثة .

وصناعة التفسير قد حازت الشرف والفضيلة من الجهات الثلاث التي بها تتفاوت الصناعات في الشرف، وهي: الموضوع والغرض وشدة الحاجة؛ فأما من جهة الموضوع، فلان موضوعه كلام الله تعالى الذي هو ينبوع كل حكمة، ومعدن كل فضيلة، فيه نبأ ما قبلنا، وخبر ما بعدنا، وحكم ما بيننا، لا يخلق على كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه. وأما من جهة الغرض، فلأن الغرض منه هو الاعتصام

بالعروة الوثقى والوصول إلى السعادة الحقيقية التي لا تفنى. وأما من جهة شدة الحاجة، فلأن كل كمال ديني أو دنيوي عاجلي أو آجلي مفتقر إلى العلوم الشرعية والمعارف الدينية، وهي متوقفة على العلم بكتاب الله تعالى.

والواجب على المسلم: أن يشعر نفسه عند التفسير بأنه مترجم عن الله تعالى، شاهدا عليه بما أراد من كلامه، فيستشعر عظمة هذه الشهادة، روى مسروق عن عبد الله بن مسعود أنه كان يقول: «القرآن كلام الله، فمن قال فليعلم ماتقول، فإنما يقول على الله عز وجل ». فعليه أن يكون خائفا من أن يقول على الله بغير علم، فيقع فيما حرم الله، ويزل غيره بما يقول، وقد قال تعالى: ﴿**قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَاناً وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ**﴾ الأعراف:٣٣. ويكون ممن كذبوا على الله تعالى، وقد قال: ﴿**وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوىً لِلْمُتَكَبِّرِينَ**﴾ الزمر:٦٠.